مسقطُ الإبل (المُكَرْفَته)

في وادي السمك مراعٍ ومياه ومرتَعٌ وفيرٌ للمواشي ، وقد خَبِرَه رعاةُ الإبل القادمين من البادية الشرقية ، في عامٍ جَفَّتْ الينابيع وقَل الكلأُ وجاعت القطعانُ فتوجهوا بها نحو الغربِ والجنوبِ ، ووجدوا في هذه المنطقةِ مَلْجَأً ومكاناً ينقذون فيه إبلهم ومواشيهم.

ولما كانت المزارعُ والمزروعاتِ تتضرَّرُ من وجودهم وَتَطَاوُلِهمْ عليها ، فقد حدثت عِدَّةُ حوادثٍ وصداماتٍ بين سكان المنطقةِ والرعاةِ الذين كانوا يتجاوَزونَ ما سمحَ به أصحابُ الأَملاكِ في الزَّوية.

رأىٰ الفَلاَحُ محمود زُروعه وغِراسَهُ تُتْلَفُ تحت أقدامِ هذه الجِمالِ ، وهي تُخَرِّبُ ما تصلُ إليه وتقضي علىٰ الموسِم وتَعَبِ الفلاحين ، ولم يتجاوبْ رُعاةُ الجمال وتَعَنَّتوا في مواقفهم وتجاوُزاتهم وكان همهم الحفاظ علىٰ مواشيهم مهما تضرَّرَ غيرهم.

نادىٰ المنادي علىٰ الفلاحين؛ كي يَهُبوا لحمايةِ ممتلكاتهم

وَزُروعهم ، وَجَرَتْ صِداماتٌ وَمُصادماتٌ مع أصحابِ القطعان وجاءت نجداتٌ لهؤلاءِ وأولئك ، واشتدّتِ المعركةُ بالعصي والحجارة وزاد أذىٰ المواشي علىٰ المزروعات ، فما كان من أَحَدِ الفلاحين إلا أن اسْتَلَّ بندقيَّته ويصَوَّبَ فوهتَها إلىٰ السماء وأطلَقَ طلقَةً تحذيريَّة علىٰ الدُّخَلاءِ ، فخافت الجمالُ وراحت تَركُضُ نحو الوادي وكان أمامَها جُرْفٌ عميقٌ له هاوِيةٌ سحيقةٌ فتهاوت الواحدُ تلوَ الآخَرِ ، ولم يَقْدِرِ الرعاة أو غيرهم علىٰ إيقافها ، وكان صوتُ أنينها يملأ الوادي وتكسرتْ رِقابُها وعِظامُها فوق الصخورِ الكبيرة ، وتراكمتِ جُثَثُها فوق بعضها حتىٰ قاربت المئات ، ويقال بل هي ثلاثمئةٍ ، وقال آخرُ: بل أربعمئةِ بعيرٍ ، وسُمي المكان (المكرفته) من كثرة ما أسقط فيه من الجمال الهالكةِ ، وكانت المجزرة الرهيبة التي وضعت المنطقة في أزمةٍ ومواجهةٍ بين فريقين ، الرعاةُ وأصحابُ الإبل الهالكةِ ، وسكان المنطقة وقد تحالفوا في موقفهم وتعاهدوا علىٰ تحمُّلِ النتائجِ ، كونهم قد تضرروا من دخولِ هذه القطعانِ إلىٰ أراضيهم ومزروعاتهم.

طالب أصحابُ الجمال بأثمانها والتعويض عليهم ، ولكن شيوخَ المنطقةِ حَمَّلوا الرّعاةَ المسؤولية ، كونهم اعتدوا علىٰ ممتلكات السّكان ، وقد اتفقوا علىٰ عرضِ المشكلةِ علىٰ قاضي العشائر ، وكان ذلك؟ عندما أدلىٰ كلٌّ بدفاعِهِ ، ولما قضىٰ القاضي بالتّعويض عليهم! ودَفْعِ أَثمانِ الإبل ، وقد وجدَ وُجهاءُ

منطقةِ الزويةَ منفذاً يضغطون به علىٰ خصومهم في هذه القضية ، فطلب شيخهم أن يمتنع هؤلاء الرّعاةُ من دخول المنطقة بعد الآن ، ولما فكَّرَ أصحابُ القطعان بمصيرها في سنواتِ الشُّحّ والجَدْبِ ، ومنطقةُ الزوية في الجولان تُصبحُ في هذه السنوات المُنْقِذَ لقطعانهم ولا يستغنون عنها ، هنا تنازلوا عن مطالبهم وسامحوا بحقهم مقابلَ ما سَيَنْتَفعون بما في هذه البلاد من الكلأِ والخير العميم.

* * *